

الدور الإيراني في الصومال: البحث عن موطن قدم

فهد ياسين

مركز الجزيرة للدراسات

وبأسعار منخفضة يتم التعاقد بهامع التجار الموالين لها.

الوجود الإيراني: الفرض المتاحة

تستفيد إيران من فرص جديدة لها في الصومال، حيث الأهمية الجغرافية وموقعها من القارة الإفريقية، وقرىها إلى الأحداث اليمنية، وكل هذه العوامل مجتمعة تجعل دولة الصومال مثل إيران تسعى لاقتصاص الفرص المتاحة؛ مما يوفر لها البنية المناسبة لوضع خططها للوصول إلى أهدافها، ويعزز من ذلك:

غياب المنافس العربي الحقيقي في المشهد الصومالي خاصة في المجال السياسي والديبلوماسي، وبعد تضيق الخناق على المؤسسات العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/الذويل. الفقر والجهل، وحاجة المجتمع إلى الدعم التعليمي والإغاثي، والترحيب بكل من يبذل جهداً لسد هذه الحاجات الاجتماعية دون النظر إلى خلفيت مقدم الدعم. ضعف إمكانيات المؤسسات اليمنية في الصومال، وهو ما يفتح الطريق أمام أي طرف آخر للتدخل في المجتمع. غياب الرؤية الحكومية عن الوجود الإيراني في البلاد خاصة تواجدها الاجتماعية والسياسية والعقدية، وبما يكون تصريح عدة مقديشو (حسن محمد المشهور بموتغلب) حول تلقيه شكوى من هيئة علماء الصومال تتحدث عن انتشار التشيع بين الشعب تعتبر الكلمة الأبرز التي تصدر من الحكومة الحالية (١٣) وجود الطرق الصوفية التي تكون مدخلاً مقبولاً لربط العلاقة بينهما، خاصة أن القاسم المشترك بين الطرفين كرايهم للفكر الوهابي أو السلفي المنتشر في أوساط الصوماليين.

مستقبل النفوذ الإيراني

لا شك أن توسع الدور الإيراني في العالم العربي مع نشوء المذهب الشيعي في الأقطار الإسلامية السننية ليس عملاً تطوعياً يقوم به دعاة فرادى أو جماعات، وإنما نتج خلفه دولة يقدر إيران، وهناك تناغم بين استراتيجيات الدولة العراقية في التواجد في هذه المنطقة الاستراتيجية، وبين نشر المذهب الشيعي، كما أن النجاحات المتكررة لإيران في الاستيلاء على عاصم عربية يمنحها زخماً كبيراً لفنوحات جديدة.

ونظراً للإرادة الإيرانية في التوسع في القرن الإفريقي وخاصة في الصومال، ربما يصبح هذا البلد جزءاً من أهم الأوراق السياسية لدى طهران، ما لم يتم فتح آفاق التعاون بين الصومال والدول العربية.

ليس بقدر الصوماليين وحدهم المنافسة أمام مشروع يحظى بدعم رسمي وشعبي من دولة طامحة للتوسع قفياً وسياسياً، ما لم تقم الدول العربية خاصة الخليجية بتنفيذ خطوات موروثة لدورها في المجالات التي تؤثر على مستقبل هذا البلد من التواحي الاقتصادية والاجتماعية والترتبية.

ومن أهم المجالات التي تحتاج إلى وضع خطط استراتيجية:

توفير فرص التعليم الجيد، واستقبال الجامعات في الدول العربية القادرة أحياناً وغيره من الطلبة الصوماليين، وذلك بغية حماية المجتمع الصومالي من أمة شيعية تماماً، كما حدث أيام المد الشيوعي الروسي؛ حيث لعبت الجامعات الصومالية التي فتحت أبوابها للطلبة الصوماليين دوراً حاسماً في نجم انتشار الشيوعية في المجتمع. توعية بعض مؤسسات التعليم العالي الأهلي في الصومال مع نظرائه في العالم العربي والتخفيف من شروط الالتحاق والانتساب لها.

توفير سوق بديلة للمنتجات الصومالية قطع الطريق أمام

المغريات الإيرانية، خاصة الموراشي، والموز وغيره من المنتجات المشهورة من الصومال.

دعم مؤسسات الدولة الصومالية لتضطلع بمسؤولياتها تجاه حماية مجتمعها أمام تغلغل النفوذ الإيراني لأمد طويل.

تكتيف البعثات الدبلوماسية العربية ورفع مستوى وجودها في البلاد مع إطلاق المشاريع الاجتماعية والثقافية.

الخاتمة

البلدان ساحلية مثل الصومال وجيبوتي تجد نفسها أمام مشاريع دولية طموحة لهذا الموقع الإستراتيجي من العالم، وبالتالي التناقص الدولي والإقليمي منطقة القرن الإفريقي لتبحث كل دولة عن موطئ قدم لها على البحر وربما لإنشاء قواعد عسكرية في المستقبل.

فالوجود الإيراني في الصومال يمثل حاسماً في توطيد الروابط مع شريك محلي، يتسلح بالدعم الإيراني في المجالات الهادفة والمؤثرة على المستقبل، وكذلك الاحتفاظ بالعلاقة مع الجماعات المسلحة الصوفية، واستخدامها في الوقت المناسب، وهو ما يعرض الصومال

ليصبح يوماً ما، ورقة قد تستخدمها إيران لحلق التوازن دولياً.

- الهوامش والمصادر**
- (1)سهل، عبد الرحمن: عنوان الورقة للدور الإيراني في الصومال.. ورقة علمية بحث مقدم إلى هيئة علماء الصومال.
 - (2)شيخ أحمد محمد، الورقة العمومية، المذهب الشافعي في الصومال، موقع شبكة الشاهد، ١٣ يناير/كانون الثاني ٢٠١٥.
 - (3)الشيخ بشير صلا، رئيس هيئة علماء الصومال، مقابلة معه في مقديشو. (٤) لقاء مباشر مع أقارب أحد هؤلاء في نويبي كينيا، ٢٥ مايو/أيار ٢٠١٥. (٥) لقاء مع إحدى العائلات التي شارك أحد أفرادها في القتال إلى جانب الجيش العراقي.
 - (6)الشيخ بشير صلا، مقابلة مع رئيس هيئة علماء الصومال.
 - (7)تحقيق نقاشية في فسنة الجزيرة، تاريخ ١٩ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٦ (تاريخ الدخول: ١٢ أغسطس/آب ٢٠١٥).
 - (8) موقع بي بي سي: زيارة وزير الخارجية الإيراني... (تاريخ الدخول: ١٢ أغسطس/آب ٢٠١٥).
 - (9)م يكن من الملاحظ، عقد حلقات علمية تتحدث عن آل البيت دون غيرهم من الصحابة، وهي مظاهر لم يعدها المذهب الشيعي.
 - (10)لقاء مع وزير في الحكومة الصومالية السابقة (طلب شكر اسمه).
 - (11)احمديون: من أقدن الأحياء في العاصمة مقديشو، ومسكنه العرب والهنود.
 - (١٢) محمد علي صومالي يخبر التسليح (تاريخ الدخول على الموقع: ٥ يونيو/حزيران ٢٠١٥).
 - (13) حسن محمد: عدة مقديشو، موقع إذاعة مقديشو، ٧ مايو/أيار ٢٠١٥. (تاريخ الدخول: ٥ يونيو/حزيران ٢٠١٥).



أهل السنة والجماعة المتمركزة في المناطق الوسطى والتي لا تزال قوية ومؤثرة من الناحية العسكرية، كما أنه تنظيم منفصل من الجيش الوطني في تلك المنطقة، وتكون من حين لآخر اشتباكات مسلحة بينهما.

وتسيطر الجماعة حالياً على مدن رئيسية في المنطق الوسطى، مثل عاصمة إقليم "كلمدج" الذي أنشئ حديثاً، كما أنها لا تعترف بالنظام المحلي الجديد.

والغريب في المشهد، أن إيران هي الدولة الوحيدة التي زار وفد من سفارتها في مقديشو تلك المنطقة نهاية العام الماضي، والتقى مع القيادات العسكرية والسياسية لأهل السنة والجماعة، كما أنه أطلق عدداً من المشاريع الاجتماعية والإغاثية في تلك المناطق الوسطى من البلاد، وجاءت هذه الزيارة لكون التنسيق مع الأجهزة الحكومية المعنية وفق العرف الدولي في مثل هذه الزيارة.

وليست بغريب في المنظور القريب أن يصبح هذا الجناح العسكري المحصور حالياً في منطقة الوسط متهدداً، ويتحول إلى لاعب رئيسي في المشهد الوطني، وربما يستقطب البعض عنده، وحينها، تجد الدولة الصومالية

ومن معها من الدول العربية أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه.

د. تشييك الروابط بين الصوفية الصومالية، مع الصوفية في إثيوبيا خاصة جماعة الأصبين-المسيطرة على المجلس الأعلى الإسلامي في آديس أبابا-وهي الرافد الطبيعي لتغلغل المذهب الشيعي في لمناطق السننية في

إثيوبيا، ودون ممانعة سياسية من قيادات الدولتين.

سياق الانساني والاجتماعي

جنبت حالة المجاعة والجفاف التي أعلنت في الصومال أنظار القيادات السياسية والدينية في إيران لوضع استراتيجية بعيدة، ويبلغت قامت بجهد إغاثي وإنساني واجتماعية لقيت ترحيباً وتعاوناً محلياً في المرحلة الأولى من الدعم الانساني.

لكن، ومن خلال بعض الأعمال الاجتماعية والإنسانية، أصبحت هذه النشاطات محل استغراب الحكومة الصومالية، وهيئة علماء الصومال، بسبب هذا الدعم

شكل من أشكال الانتشار وتتوسع الشيعي في البلاد، وهناك حالات مرصودة ولافتة تتعلق بكيفية تقديم الدعم الإنساني أو المشاريع الاجتماعية وبرعاية إيرانية، ومن الأمثلة على ذلك:

الزواج الجماعي: ويتسبب مباشرة من السفارة الإيرانية في مقديشو، وتم رصد ثلاثمائة دولار أميركي لكل أسرة شهرياً، لإعانتهم عدة أشهر، مع تحمل نفقات الزواج تكاليف السكن والأثاث، ولاشك أن هذه الأسر التي نشأت تحت النفقة الإيرانية ستكون متعاقبة معها، مع الإشارة إلى أن البلاد لم تهذب في تاريخها ما يعرف بالزواج الجماعي.

تكتيف النشاط الإنساني في المناطق ذات الأقليات مثل حمرين (١١) التي حلت مقراً لوجود الفرنسي في القرن السابع الهجري، وكذلك الأقليات ذات الأصول العربية، وتهتم بهذا الحر لم تقدم التاريخي.

المتح الدراسية: تقدم الجامعات الإيرانية بفرعها المختلفة منحاً دراسية (أكثر من ثلاثمائة منحة دراسية خاصة في الطب والهندسة) غير شخصية صومالية مرموقة، أو غير التعاقد المباشر مع بعض الجامعات المحلية، وهي مراحل الشهادات الجامعية والماجستير، وكذلك ربطها مع جامعات أخرى في العراق.

وتشهد السلطنة التعليمية في الأونة الأخيرة رحلات ولقاءات أكاديمية بين جامعت صومالية وأخرى إيرانية، وهي بداية لتفكك الثقة بين البلدين.

الصوماليون في المهجر والإعلان عن التسليح: لم يبرز إلى العلن في الوسط المحلي سابقاً شخصيات تعلن اختلافها للفكر الشيعي، ربما خوفاً من ردة الفعل الاجتماعية ضدهم، إلا أنه في الأونة الأخيرة ظهرت شخصيات تحدثت إلى بعض الجامعات في إيران.

وتم تفعيل الأنشطة المتعلقة بإبراز آل البيت، عن طريق عقد حفلات ضخمة لثموند النبوي كل عام، ويلتظ خلال السنوات الأخيرة الحديث الإعلامي والفعاليات الكبرى عن دور آل البيت في الإسلا، ربما يعتبر هذا مدخلاً مستقبلياً لاستغلال حب أهل السنة لآل البيت، مع ترسيخ صورة ذهنية جديدة لدى المجتمع الصومالي، وهي الشخصية الصحابة من آل البيت على غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً (٩).

ب. الصوفية السننية المتمثلة بالجناح السياسي لتنظيم أهل السنة والجماعة، وكان لهم تمثيل وزاري في مجلس الوزراء ما قبل عهد الرئيس الحالي حسن شيخ محمود، ولهم عدد من أعضاء البرلمان الفيدرالي الحالي، وتتعامل السفارة الإيرانية في مقديشو معهم كطرف سياسي أساسي في البلاد، حيث تم استضافة قيادات عليا من تنظيم أهل السنة والجماعة ونواب برلمانيين في طهران، وقاموا

بزيارات متكررة إلى إيران، وهي زيارات بقيت نتاجها في طي الكتمان، وقد تدرج في سياق التنسيق السياسي بين الطرفين (١٠).

ج. الصوفية المسلحة المتمثلة في الجناح العسكري لتنظيم

العراقي، وأسر ٢٠ مقاتلاً صومالياً لدى الإيرانيين، بينما أفرج عن البعض منهم عام ١٩٩٨ وبعد انتهاء مدة محكوميتهم (٥).

كان النظام الاستراتيجي يحارب كل مظاهر الصحوات الإسلامية، ولم يكن يتحسس للتعاون مع نظام يتباهى بالمشروع الإسلامي، بالإضافة إلى علاقته القوية مع

الصوفية التي كانت تعادي توجهات النظام الإيراني. ولم تسجل في تلك الفترة علاقة مع إيران خاصة من النواحي الثقافية أو الاجتماعية، وإن تم الحفاظ على

العلاقة الدبلوماسية الرسمية بين البلدين. مرحلة ما بعد انهيار الدولة الصومالية (ما بين ١٩٩١ وحتى ٢٠٠٦).

هذه المرحلة كانت البلاد في حرب أهلية طاحنة بين القبائل والجهات المتناحرة، ولم يبرز وجود إيراني في وسط

البلاد، إلا أن الالاف كان زيارة فقام بها الداعية الصومالي المشهور الشيخ محمد معمر (رحمه الله) إلى طهران في أواسط التسعينات برفقة عدد من قيادات جماعة

"التجمع الإسلامي" المشهورة محلياً بمشايخ كثر من الشيخ" ومن بينهم الشيخ أحمد عدي طعسوا (رحمه الله)، وكان من أبرز نتائج هذه الزيارة منح دراسية للطلبة الصوماليين (٦).

ومن باب الإضافة لذلك الزيارة من الشيخ محمد معمر (رحمه الله) ويمكن وضعها في خانة جذب الثورة الإسلامية الإيرانية للقيادات الدينية والفكرية بغرض

التوصل مع العالم الإسلامي لا أكثر، وبالتالي، تمت كغيرها من الزيارات التي كان يقوم بها مشايخ كثر من العالم العربي والإسلامي إلى طهران، وربما كان الشيخ

محمد معمر، من المعجبين بثورة الإسلام الإيرانية في جوانها السياسية والعسكرية.

أثناء القتال الدائر بين الجنرال محمد فارح عديد و قوات إعادة الأمل بقيادة الولايات المتحدة الأميركية في مقديشو، كانت إيران تطلق تصريحات تقدم الدعم المعنوي لـ"محمد

فارح عديد"، كغيره من القادة الليبيين معمر القذافي، بالإضافة إلى أن السفارة الصومالية في طهران كانت

مفتوحة ولا تزال، كمثلها في دول العالم العربي الإسلامي.

مرحلة ما بعد ظهور المحاكم الإسلامية (ما بين ٢٠٠٦ إلى ٢٠١١).

يشكل مفاجئ محلياً وإقليمياً ودولياً، بزغ فجر المحاكم الإسلامية، وسيطرها على الجنوب، ما عدا مطقنين كانوا

مقراً للحكومة الصومالية المؤقتة، وتمكنت من فرض أجندة سياسية ذات طابع إسلامي على الواقع السياسي.

في هذه الفترة، اتهمت الأمم المتحدة- عبر اللجنة الأمية لحقوق الإنسان، وكثير من المنظمات الإسلامية- إيران، وبنيت محاربه الفكر الوهابي السلفي المهين على إسرائيل، وأشارت هذه التقارير إلى أن إيران تريد عم

المعتادين في القرن الإفريقي (٧).

وعلى الرغم من هذا الاتهام الأممي، إلا أن إيران لم يكن لها وجود ملموس على الساحة السياسية والاجتماعية، ولم يجد المتابعون للشأن الصومالي أدلة حقيقية على

الدور الإيراني فيما يخص القتال الدائر بين المحاكم الإسلامية والقسم الصومالية الأخرى "مرأة ضد عام إسرائيلية وغربية".

بدا الدور الإيراني يبرز للواجهة، ويتغلغل في الوسط المجتمعي والسياسي، والديبلوماسي، ووضعت على ما يبدو خطط ومرسمة للربط بين إيران الدولة، وبعض المكونات السياسية، وكذلك بين المجتمع الصومالي وبين المؤسسات الاجتماعية الإيرانية سواء عبر الإغاثية أو التعليمية أو التعليم، كما تم تنشيط صوماليي المهجر الذين اعتنقوا الفكر الشيعي أثناء دراستهم في إيران.

مداخل الوجود الإيراني

ويمكن وضع عدد من المداخل الرئيسية للوجود الإيراني في الشأن الصومالي، كالتالي:

تناقش هذه الورقة آثار وأبعاد الدور الإيراني في الصومال، وقراءة مستقبل هذا التأثير على هذا البلد الذي يعني من غياب الدولة المركزية، والمضاقت المصاحبة لهذا الغياب لفترة امتدت لأكثر من عقدين من الزمان،

والدور المطلوب من الدول العربية.

خلال فترة ما بعد الحسمه الدولية لإغاثة المجاعة في الصومال عام ٢٠١١، بدأ اهتمام بعض الدول بالشأن الصومالي، وبرز إلى العلن تزايد النشاط الإيراني عبر

جولات متعددة، منها: المجال الديبلوماسي عبر فتح سفارة نشطة للغاية، والمجال الاجتماعي بتحريك المنظمات الإغاثية والاجتماعية التابعة لإيران، من أجل التواصل مع المجتمع.

وتخلص هذه الورقة إلى قراءة الخلفية التاريخية للعلاقة بين الصومال وإيران كفترة وكدولة، كما تشرح الأسباب الرئيسية التي حالات دون التغلغل الشيعي منذ العهد

الأموي، ثم تنظر في دراسة مراحل الانفتاح مع الثورة الإسلامية الإيرانية منذ الاستقلال، مروراً بنظام سيد بري، واتهام الأمم المتحدة لإيران بتسليح المحاكم الإسلامية، ثم انتهاء ببروز الدور الإيراني بعد إعلان حالة

المجاعة في الصومال، عبر الجولات المتعددة: دبلوماسياً، واقتصادياً، وثقافياً، واجتماعياً.

كما تخلص الورقة إلى الإشارة لفرص المتاحة أمام المشروع الإيراني، وغياب المنافس العربي الحقيقي، مع أن التوجه إلى إمكانية أن يتحول بعض الكيانات الصومالية

إلى ورقة تحتفظ بها إيران لتبحث عن موطن قدم لها في هذه البيئة الاستراتيجية من الأرض في المستقبل القريب. ثم عدنا إلى الوراء فسئلباً، نجد أن الروايات التاريخية مختلفة في تحديد وصول الطابع الأولي للشيعية إلى الصومال.

الموجة الأولى: ديوانتان

هناك روايتان متداولتان قد تكونان الأقرب إلى الحقيقة من بين الروايات العديدة:

الرواية الأولى: يشير بعض المؤرخين إلى وصول أسر شيعية أثناء فترة حكم عبد الملك بن مروان، ما بين ٦٥ إلى ٨٦ هجرية، ونتج من النزاع السني-الشيعة في تلك

المرحلة من التاريخ هروب بعض الأسر من الشام والعراق إلى الصومال، ومارس هؤلاء الحياة المعادية في المدن التي لجؤوا إليها، واستقروا فيها، والمتفق عليه بين المؤرخين أن هذه الأسر لم تترك أثرًا ملموسًا في نشر الفكر الشيعي بين أوساط المجتمع.

الرواية الثانية تقول: إن الأمير علي حسن الشيرازي، الذي حكم مقديشو وأسس الدولة الشيرازية الفارسية في القرن السابع الهجري، استطاع السيطرة على أغلب المدن الساحلية في شرق إفريقيا، مثل: مقديشو، ومركة، وبراوة، وكسمايو، وظلت اجراء من الصومال في هذه المرحلة تحت إدارة حكم شيعي فارسي (١).

ورغم بقاء هذه المناطق تحت هذه الإمارة لحقبه من الزمن، إلا أن الشيرازيين لم يتمكنوا من نشر المذهب الشيعي بين سكان المناطق الخاضعة لهم، وبالطبع فإن هناك عوامل أساسية منعت من انتشار المذهب الشيعي في

الوسط الصومالي، خاصة أثناء فترة حكم الشيرازيين في المنطق الساحلية، وهذه العوامل هي:

وجود مكتب لأسر عربية سننية حافظت على تمسك المجتمع الصومالي بالمذهب السني، وهذه الأسر العربية هي الأخرى التي تمركزت في المدن الساحلية الصومالية، كما

أسهمت في تعصير هذه المدن التاريخية، وتأسيس أنظمة إدارية واجتماعية، وأبرز هذه المدن: مركة، وبراوة، ومقديشو، وكسمايو، وزليغ، وبربرة. وتوالى وصول هذه

الأسر العربية عبر الهجرات المتتالية للعرب. وجود ارتباط قوي لأغراض تجارية ودينية بين الصوماليين والجزيرة العربية، بالإضافة إلى أن الحجر، وتجدت كانت الوجهة

الأساسية لنقل العلوم الشرعية، ثم العودة إلى الصومال لنشر الدعوة الإسلامية على المذهب السني.

أثناء فترة حكم الشيرازيين للمدن في شرق إفريقيا، أقصر احتكاكهم على الأسر العربية المهاجرة من اليمن والعراق، والتي هي الأخرى كتبت محصنة من الاختراق الشيعي، ولم يحتفظ نظام الشيرازيين مع المجتمع الصومالي بشكل مباشر.

هذه العوامل وغيرها أدت إلى احتفاظ المجتمع الصومالي بالمذهب السني، ولم يسجل طيلة تلك القرون وجود ملحوظ للشيعية "و على الرغم من اختار الثقافة الشيرازية

والمذهب الشيعي في الصومال إلا أن آثاره باقية في الحياة الاجتماعية والثقافية متمثلة في إشعال الحرائق في أول رأس السنة النيروزية، ويبدو أن انتشار المذهب الشيعية

مرده إلى طغيان الهجرات العربية الحاملة للمذهب الشافعي وانتشار تدوين كتب الشافعية مع ندر كتب الشيعية لعدم وجود مركز إشعاع للمذهب الشيعي في المنطقة" (٢).

الموجة الثانية: التجالية الهندية

في منتصف القرن التاسع العشر الميلادي هاجرت إلى الصومال أسر هندية، وشكلت تجمعات مستقلة وانشطة مخصصة لهم، وهي أسس لم يتجاوز تعدادها ألفي فرد،

وكانت لهم نشاطات تعليمية، حيث أسسوا لاحقاً "جمعية المنظر" في عام ١٩٨٦ وسجلت رسمياً لدى الحكومة

آنذاك، وترأسها هاشم حسن علي وأغرا، ولسلطت هذه الجمعية القيام بالسلطة متعددة في مجالات التعليم، والصحة، وقضايا الأسرة، إلى جانب ذلك قامت بأعمال تجارية، وكانت لهم مقبرة خاصة بهم في حبي عيل هني في مقديشو، ولم يتجاوز هدفهم مجرد الحفاظ على

هويتهم الاجتماعية والعقائدية أمام البنية السننية في البلاد (٣).

وذكر بعض المصادر، أن طغيباً إيرانياً استطاع أن يوظف ويقنع بالفكر الشيعي عدداً من النخب الثقافية، وعرف لاحقاً عدد من الشخصيات التي اشتهرت بقاعتها بالمذهب الشيعي عن طريق هذا الطغيب الإيراني، وكان ذلك أثناء

مرحلة ما بعد الاستقلال في السننيت، وما قبل مرحلة الثورة الاشتراكية في عهد سيد بري (٤).